البعدان الديني والأخلاقي ودورهما في بناء الأسرة المسلمة وتعزيز أمنها

أ. أمبارك بن مصطفى

أ. سليمان الحرفيف

المركز الجامعي– آفلو – الأغواط

مقدمة:

تعتبر الأسرة هي اللبنة الأولى لبناء المجتمع، إذ بصلاحها يصلح المجتمع وبفسادها يفسد المجتمع، ولذا أولى لها الإسلام أهمية كبرى من خلال بنائها وفق منظومة عقدية وقيمية وأخلاقية متناسقة وشاملة تقوم في أساسها على تحقيق العدل والمحبة والرحمة، إذ يقول الله تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة...) الروم 21. ولذا فإن الأسرة المسلمة تمتاز عن غيرها من الأسر بالرابط الايماني الذي يحكم تصرفاتها، ويحميها من الزلل، فالعقيدة هي المنهج المستقيم التي يرشد المسلم ويحصنه ضد كل المغريات المستجدة، أو التغيرات التي يشهدها العالم في جميع مناحي الحياة.

ومن هذا المنطلق يمكن القول أن قيام الأسرة على مبادئ إسلامية تقتضي الالتزام بالضوابط والقواعد والشروط التي وضعها التشريع الإسلامي سيضمن الترابط، والتعاون، والتكافل، والإحسان في الأسرة والمجتمع، ويعلي من القيم النبيلة، ويجعل من أفراد الأسرة والمجتمع كالبنيان الذي يشد بعضه بعضا فلا تهدده رياح العصرنة والتطور، ولا يستطيع أن ينال منه المتربصون بالأمة الإسلامية.

كما يمكن القول أن الأسرة المسلمة أصبحت اليوم أكثر من أي وقت مضى بحاجة ماسة إلى ما يعزز أمنها ويقوي بناءها، لأن المجتمع الاسلامي في عصرنا هذا قد تقطعت وصاله، وتفكك شمله، ولاسبيل في نظرنا للملمة الشمل، إلا بإعلاء القيم الدينية والأخلاقية في المجتمع والأسرة، لأن لها دورا كبيرا في بناء الأسرة المسلمة وتعزيز أمنها وتحصينها من كل ما يمكن أن يفتت عضدها أو يستهدف كيانها، ويمزق نسيجها.

ولذا فإن الذي نسعى إليه من خلال هذه الورقة البحثية هو تسليط الضوء على القيم الدينية والأخلاقية، ودورها في بناء الأسرة وتعزيز أمنها، وذلك من منظور المنهج الإسلامي الذي هو في نظرنا كفيل ببنا الأسرة والمحافظة عليها، والعمل على تماسكها مهما عصفت بها العواصف والمتغيرات، لأن وسائل الضبط والتربية تبقى نسبة نجاحها ضعيفة إذا لم تدعم بقيم روحية مؤثرة.

فما مفهوم الأسرة؟ وكيف كانت نظرة الإسلام للأسرة؟ وهل يمكن القول أن التشريع الإسلامي قد استوفى كل الشروط والضوابط الكفيلة بحماية الأسرة وتعزيز أمنها؟ وما هي أهم العوامل التي يمكن من خلالها أن

تحافظ الأسرة المسلمة على توازنها؟ وهل يمكن بناء أسرة مسلمة قوية ومتكاملة وفق التشريع الإسلامي دون إخلال بمتطلبات العصر؟

مفهوم الأسرة:

تعتبر الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الفرد، ويكتسب من خلال العيش فيها الآليات والسبل التي تسمح له بالتعايش مع أفراد المجتمع والتكيف مع البيئة والمحيط الخارجي، كما أنها الجسر الذي يربط الفرد بمجتمعه، ولذا فإن للأسرة أهمية كبيرة في حياة الفرد والمجتمع.

الأسرة من المنظور الإسلامي:

لقد أولى الإسلام أهمية كبرى لبناء الأسرة من الخلال الدعوة إلى الزواج والترغيب فيه، فهو الأساس الذي يبنى عليه بيت الزوجية، وتقوم عليه الأسرة، فالله تعالى يقول: " هن لباس لكم وأنتن لباس لهن " البقرة 187. ويقول أيضا: " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة " الروم 30. لأن " سكون الزوج إلى زوجته تدبير إلهي يقوم عليه بناء المجتمع وبقاء النوع".[1]

فالأسرة كما يقتضي التشريع الإسلامي هي الحاضنة الأولى للفرد، ولا يشعر فيها الفرد بالطمأنينة والسعادة إلا إذا كانت هناك مودة ورحمة وألفة بين الزوجين، لأن المودة والرحمة " هي المهاد الذي تنشأ فيه الأسرة، ثم ينمو ويترعرع ويشب فيه الأطفال."[2] ثم يكون ثمرة ذلك ما يسمى بالأسرة.

وللوقوف على أهمية الأسرة في الإسلام ينبغي أن لا نغفل عن الأسس والضوابط التي وضعها التشريع الإسلامي لبناء الأسرة والتي تبدأ قبل الزواج، وأثناءه، وبعده، والتي تنظم العلاقات بين أفراد الأسرة، بين الزوج وزوجته، وبين الأزواج والأولاد، لتتسع هذه العلاقات فتشمل الأقارب والجيران والمجتمع ككل.

1/البعد الديني ودوره في بناء الأسرة وتعزيز أمنها:

وإذا نظرنا إلى الأسرة من المنظور الإسلامي يمكن القول أن الاسلام قد سعى من خلال الأسرة إلى بناء الأفراد والجماعات وتهيئتهم نفسيا ودينيا وأخلاقيا، ليؤدي كل فرد في المجتمع الدور المنوط به على أكمل وجه. لبناء مجتمع قويم متماسك

ففي الأسرة المسلمة يعد الدين الإسلامي هو الهوية الأساسية والرسمية لها، فهو الانتماء الحقيقي والرمز، ومحور حياة المجتمع من خلاله يتفاعل أفراد المجتمع، وتتآلف القلوب، وتتوطد العلاقات، ويشعر كل فرد بالانتماء الكامل بكل أبعاده المادية والاجتماعية والثقافية والإقتصادية، التي تنعكس على حياة الفرد والمجتمع وعاداته وتقاليده...[3]

وذلك لأننا حينما نفقد القيم الدينية سنفقد وجودنا، وقيمتنا وأصالتنا وتضعف شوكتنا وتصبح مجتمعاتنا فريسة تتكالب عليها الأكلة والذئاب من كل حدب وصوب، ولذا فإن أعداء الإسلام يعرفون قيمة عباءة الدين وأهميتها بالنسبة للفرد والمجتمع الإسلامي.

وقد لاينأى هؤلاء في استعمال الوسائل والسبل الكفيلة بطمس الهوية الاسلامية وتمزيق المجتمعات الاسلامية وما أكثرها في وقتنا الحاضر، فهم يدسون سمومهم في العسل بحجة العصرنة والتطور والتفتح والحوار، وفصل الدين عن حياة الفرد والمجتمع.

ولعل من أخطر هذه الوسائل التكنولوجيا الحديثة فهي وسيلة عابرة للقارات لا تحدها حدود كما لها تأثير كبير على الأسرة والمجتمع، إذ تؤدي في كثير من الأحيان إلى خلق فجوة بين أفراد الأسرة الواحدة مما يؤدي إلى هز منظومة القيم الدينية من خلال التواصل الافتراضي الذي يؤدي إلى قطع صلة الرحم وتقطيع أواصر الترابط والتواصل بين الأفراد والأسر، والتأثير أيضا على منظومة القيم الأخلاقية. ويعود هذا كله إلى سوء الاستعمال العقلاني لهذه الوسائل التكنولوجية، بالإضافة إلى الادمان عليها وضعف الرقابة من الوالدين.

فالأمة الإسلامية "تعاني من هجمة غربية تحت اسم العولمة في كل مجالات الحياة، وهي في حقيقتها تذويب للهوية الإسلامية في هوية العولمة الغربية، لقمعها والقضاء عليها باسم الارهاب والتخلف، وعدم مواكبتها للتقدم العلمي والحضاري."[4]

ولعل الأمر يتجاوز إلى أخطر من ذلك حينما يتغنى البعض بهذا الشعار البراق وهو" دعوة البعض إلى هوية أخرى غير الهوية الإسلامية، مثل الدعوة إلى الهوية العربية باسم القومية العربية، والتعصب لها وحدها، بدون أن تقترن بالإسلام، بدعوى التقدم والمدنية، رغم أن الإسلام لا ينفك عن العروبة أبدا"[5] وهذه من أشد الطعنات فتكا بالمجتمع الاسلامي والأسرة المسلمة.

كما لا ننسى ما للخلافات السياسية والنعرات الطائفية والعرقية والمذهبية من أثر في تمزيق المجتمع الإسلامي، وخير مثال ما نشاهده في واقعنا المعاش، فالخلاف السياسي بين أشقائنا في الخليج أدى إلى قطع أواصر المحبة والألفة والمصاهرة بين الكثير من الأسر القطرية ونظيراتها في الدول الخليجية الأخرى، وفي مصر نجد أيضا أسرا مقطعة ومشتة فهناك أخ لم ير أخه، وأم لم تر ابنها من أربع سنين، وفي العراق نجد شيعيا تربطه علاقة مصاهرة بأسرة سنية والعكس صحيح، فكم من أسر تفككت بسبب ذلك.

ويعتبر التشريع الإسلامي منهجا متكاملا شاملا يمكن القول أنه يستجيب لجميع مناحي الحياة الإنسانية إذ أنه " أولى الأسرة أهمية خاصة في مفردات منهجه المتكامل، وذلك لما لها من دور فعال يسهم في بناء إنسان صالح يشارك في خدمة المجتمع ورقيه وتنمية قدراته."[6]

ويمكن الوقوف على أهمية البعد الديني ودوره في بناء الأسرة وتعزيز أمنها من خلال الأسس والضوابط التي وضعها الإسلام لبناء الأسرة

وإذا كان الزواج هو أساس بناء الأسرة فإنه ينبغي القول أن " الزواج القائم على الدين يزداد قوة ومنعة بمرور الزمان، فحين تضعف أو تخمد فورة الشباب عند أحد الزوجين أو كليهما أو حين تعصف أعاصير المشاكل في عش الزوجية، يبرز عنصر الدين ويساهم في بقاء الحب ودوام المحبة."[7]

ولذا فإن الزواج في الإسلام رابطة مقدسة، والقوانين والضوابط الكفيلة بإنشاء هذه الرابطة الزوجية ورعايتها، تبدأ قبل الزواج، وأثناءه، وبعده.

فالقيم الدينية التي نلمسها في الشريعة الإسلامية تشكل الضمان الأكيد لحياة أسرية سليمة تقوم على الاحترام المتبادل وحسن العشرة بين الأفراد، لأن البعد الديني يصبح رادعا يمنعه عن الظلم ويقوده إلى مكارم الأخلاق وخصال الخير.[8] فالوازع الديني يقوي الأسرة ويعزز أمنها.

ولذا أكدت الكثير من الدراسات والأبحاث أن التفكك الأسري والانحلال الخلقي يرجع إلى بدرجة أولى ضعف الوازع الديني.

فانظر إلى حال العرب قبل مجيئ الإسلام، فقد كانوا مجتمعا مشتتا، وقبائل متناحرة، وأسرا مقطعة، فأعزهم الإسلام، ووحد صفهم، وجمع شملهم، وقوى عزيمتهم، وألف بين قلوبهم، فأصبحوا مجتمعا متماسكا، فخرجوا من حدود القومية العربية إلى العالمية، ولذا قال الله تعالى فيهم " كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله "

فحالة التخلف والتشرذم التي تعيشها المجتمعات الإسلامية اليوم، لا يمكن الوقوف على أسبابها وعلاجها، إلا بالوقوف على مكمن الداء، ومكمن الداء عندنا هو الأسرة ذلك المجتمع الصغير الذي إذا صلح صلح ما بعده فهي الأساس، وإذا أقيم الأساس على أرض ثابتة صلبة فإن هذا البناء لا يمكن أن تهدده الرياح والعواصف مهما كان نوعها وشكلها.

ومن هنا يمكن القول أن الحفاظ على الأسرة والمجتمع هو مسؤولية الجميع، فعلينا أن نطبق المنهج الإسلامي في حياتنا اليومية، وفي معاملاتنا، وفي علاقاتنا، ولا سبيل للخروج مما نحن فيه إلا بالرجوع إلى هذا المنهج الرباني، فهو الدستور الوحيد الذي يصلح لتنظيم العلاقات البشرية على وجه الأرض، فهو دستور صالح لكل زمان ومكان، ولا يمكن أن نخضعه للتعديلات لكي نجعله مسايرا للعصرنة والتطور، كما أنه لا ينافي حاجات الانسان التي يقتضيها العصر.

2/ البعد الأخلاقي ودوره في بناء الأسرة وتعزيز أمنها:

إن للبعد الأخلاقي دورا مهما في بناء الأسرة وتعزيز أمنها فغرس الفضائل الحسنة والتحلي بالصفات النبيلة يقوي العلاقات بين الأفراد والأسر ويزرع فيهم الرحمة والتآلف والتآخي، ولذا قام المنهج الإسلامي في أساسه على هذا المبدأ ورغب فيه، فالدين المعاملة.

وإذا نظرنا إلى هذه المسألة من شقها الآخر السلبي يمكننا القول أن كثيرا من المشاكل التي تعاني منها الأسر والمجتمعات الإسلامية مردها إلى الإنحلال الخلقي وسوء المعاملة وانتشار بعض الأمراض القلبية الفتاكة التي هدمت المجتمعات وشتت الجماعات، وفتت الأسر، كالغل، والحسد، والنميمة، وفقدان خلق الحياء، والخيانة...

فالمنهج الإسلامي الذي جاء به الهدي النبوي هو منهج يقوم على أساس أن المسلم يكون قدوة لغيره بأخلاقه قبل إسلامه، ومن هنا فإن التربية الأخلاقية الإسلامية" هي تنشئة وتنمية الإنسان المسلم على الخلال الحميدة التي أمر بها الإسلام بحيث تكون سجية ملازمة له، وسلوكا دائما في جميع أحواله."[9]

فالشريعة الإسلامية أولت لمكارم الأخلاق أهمية كبيرة، فالله تعالى يقول : " خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين " (الأعراف 199) وإذا كان نبينا محمد هو قدوتنا فقد شهد الله له من سبع سموات

بحسن الخلق، فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم 04. وفي القرآن الكريم الكثير من الآيات الدالة على فضل حسن الخلق وأهميته.

ولذا أقر الإسلام كثيرا من القواعد الخلقية في القرآن الكريم والتي لا يكفي المقام لحصرها كلها، وسنقتصر على بعضها فقط، والذي يتأمل في مقصود هذه الآيات يمكن أن يستشفها:

يقول الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ سورة الرحمان 55

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ البقرة 83.

﴿ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ﴾ البقرة 237.

﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ آل عمران 134

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الأعراف 200

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ﴾الاسراء 23.

ففي هذه الآيات القرآنية قيم أخلاقية لو طبقها كل فرد في هذا المجتمع فهي كفيلة بتنظيم العلاقات بينه وبين أفراد مجتمعه، وذلك بدء بالعلاقة بينه وبين زوجته وأولاده، وبينه وبين والديه، وبينه وبين أفراد مجتمعه، فهذه القيم الأخلاقية كفيلة بالحفاظ على الأسرة والمجتمع إذا ما أخذت بعين الاعتبار.

فالقيم الأخلاقية من أهم القيم أو الأسس " التي اعتمد عليها الإسلام في بناء الفرد وإصلاح المجتمع، إذ بها يتم دينه وتصلح بها دنياه وأخراه جميعا، فقد قال (ص): " **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** "، وإن سلامة المجتمع وقوة بنيانه، وسمو مكانته، وعزة أبنائه مرهونة بتمسكه بفضائل الأخلاق، كما أن انهياره وشيوع الانحلال والانحراف والفساد فيه مقرون بنبذه للأخلاق الحميدة."[10]

فحسن الخلق من أسباب صلاح المجتمع وتماسك الأسر، كما أنه من أكبر عوامل قوة الأمة الإسلامية ورفعتها ومجدها، ولما كانت الأمة الإسلامية متمسكة بأخلاقها دانت لها الأمم، وصدق أحمد شوقي حينما قال:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وبالمقابل فإن انتشار الأخلاق الذميمة في الأمة الإسلامية سبب من أسباب تمزقها وتناحرها، ومن ثم تسلط أعدائها عليها.[11]

وانظر إلى حال المسلمين يوم كان خلقهم القرآن ومنهجهم الهدي النبوي كيف ساهموا في نشر الدعوة الإسلامية بأخلاقهم ومعاملاتهم، وانظر إلى حالنا اليوم فبسوء أخلاقنا ومعاملاتنا أحجم غير المسلمين عن الإسلام.

فالانحلال الخلقي الذي نشهده اليوم في أسرنا ومجتمعاتنا من سوء المعاملة، والتقليد في الكلام واللباس مردها إلى التقصير من الأولياء والمعلمين في التربية الأخلاقية، وتأثير وسائل الإعلام الغربية، وغيرها من الوسائل التكنولوجية الحديثة التي لها تأثير سلبي على الأسرة والمجتمع.[12]

فالأخلاق الحميدة تنشأ مع العقيدة وتسري في العبادات وتتفاعل مع المعاملات، فهي الثمار الجميلة والمفيدة والمطلوبة والمرغوب فيها من الانسان على اختلاف مشاربه وملله ونحله، وهي أساسا تبدأ بشد الأفراد في المجتمع برباط متين.[13]

ومن هنا يمكننا القول أن القيم الأخلاقية إذا أخذناها من معينها الصافي – المنهج الاسلامي – كفيلة بنشر ثقافة التسامح والتعاون، والتآلف بين أفراد الأسرة والمجتمع. ولذا فإن لها فاعلية في تعزيز أمن الأسرة والمجتمع، والوقاية من الانحلال الخلقي.

وهنا أستشهد بقول أعجبني لأحد الباحثين يقول فيه أن البشرية في وقتنا المعاصر هي أمام رابطين لاثالث لهما، إما العودة إلى علاقات الغابة وطور الكهوف، وهذا يتنافى ومتطلبات العصر والتكنولوجيا الحديثة، وإما العودة إلى رابط الأمة الواحدة في ظل العقيدة الواحدة، والثقافة الواحدة، وهذا الرابط في نظرنا لاتتوفر عليه إلا الأمة الإسلامية. فهو كفيل بحل مشكلات الانسان المعاصر، ومساعدته على عبور المستقبل.[14]

فالقيم الدينية والأخلاقية في المنهج الإسلامي هي قيم ثابتة دائمة صالحة لكل زمان ومكان، أما في المجتمعات الغربية فإننا لا نجد مثل هذه القيم، وإن وجدت فهي مؤقتة محكومة بميولات الفرد ومصلحته الشخصية، وإن صح القول يمكن تسميتها بقيم المصلحة. لذلك أصبح المجتمع المعاصر يعاني من مظاهر التفكك والانحلال وسهولة انهيار الصداقات والعلاقات الاجتماعية.[15]

فدور القيم الأخلاقية في تنمية مكونات الأمة وروابطها وبعث الحياة فيها هو دور رئيسي يسبق التشريعات السياسية والإدارية.[16]

والرابط الإيماني الذي يطرحه المنهج الإسلامي " يشكل حلا عمليا مجربا لهذا التناقض الذي تعاني منه البشرية الحاضرة أفرادا وجماعات، وهو الرباط الرفيع الذي يتفق مع الطور المعاصر للحياة البشرية.[17]

فالمنج الإسلامي هو منهج يسعى إلى بناء الأسرة والمجتمع من خلال بناء الفرد، فهو منهج يستثمر في الفرد باعتباره هو الأساس، وبصلاحه تصلح الأسرة والمجتمع.

والأسرة والمجتمع الإسلاميين الملتزمين بقواعد المنهج الإسلامي لا يقتصران في بنائهما وتكوينهما على جنس من الأجناس أو عرق من الأعراق، أو طبقة من الطبقات، وإنما هما مؤسسة اجتماعية مفتوحة لجميع العناصر الصالحة من الإنسانية كلها والتي ترغب بالمشاركة في بناء الأسرة والمجتمع، والقيام بالوظيفة داخلهما على أكمل وجه.[18]

والرابط الايماني هو الذي يدفع " المؤمنين إلى أن يتحلوا بالفضائل الخلقية، وأن يتخلوا عن الرذائل الخلقية، وأن يلتزموا في حياتهم كل سلوك خلقي تدعو إليه مكارم الأخلاق ... ففضائل الأخلاق وما تقتضيه من سلوك أمور يوجبها أو يرغب بها الإيمان بالإسلام ويحث عليها."[19]

فأي أسرة أو مجتمع إنساني لا يمكن لأفراده أن يعيشوا متفاهمين متعاونين سعداء ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة.[20]

فمكارم الأخلاق "ضرورة اجتماعية، لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لا بد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكك أفراد المجتمع، وتصارعوا، وتناهبوا مصالحهم، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار، ثم إلى الدمار."[21]

وقد أدرك أعداؤنا أهمية القيم الأخلاقية في الفرد والأسرة والمجتمع الإسلامي، وأثرها في تماسك المجتمع ووحدته فأخذوا يعملون على إفساد أخلاق المسلمين بشتى الوسائل والسبل، وليس أدل على ذلك ما قاله أحد الفرنسيين " ... وبغية التفريق بين الفرد وأسرته عليكم أن تنتزعوا الأخلاق من أسسها، لأن النفوس تميل إلى قطع روابط الأسرة والاقتراب من الأمور المحرمة، لأنها تفضل الثرثرة في المقاهي على القيام بتبعات الأسرة."[22]

فتطور الأسرة والمجتمع الإسلاميين من منظور المنهج الإسلامي لا يكون بالتقدم العلمي فقط، ولكن بالأخلاق النبيلة، والعقيدة الصحيحة، فالرفع من مستوى الأخلاق في الأسرة من الشعارات الأولى التي رفعها الإسلام، بل ومن المبادئ الأصيلة التي تبناها نظامه لأنه المحور الذي تنتظم فيه جميع النشاطات السلوكية عند جميع المجتمعات.[23]

والذي يجعل الأخلاق ذات فعالية وتأثير في المجتمع هي القيم الدينية ولذلك يرى ليوس " أن قاعدة السلوك الخلقي لا تقوى على البقاء بدون تأييد المعتقدات الدينية، فالأخلاق لها من الصفات القدسية ما يجعلها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالدين، وليس معنى ذلك أن قواعد السلوك الخلقي مستحيلة دون أساس ديني – فلها عناصر الاجتماعية – ولكن بدون مثل هذا الأساس تفقد قدرتها على الإقناع وقوة الإرغام السيكولوجي، ومن زاوية أخرى فإنه عند تفسير القيم الدينية ودلالات السلوك المرتبطة بها فإننا نجد للمثل العليا والفضائل الخلقية منفذا في هذه العملية."[24]

وإذا كان هناك من يشكك في جدوى هذه القيم وعدم مسايرتها للعصرنة والتطور العلمي والتكنولوجي الذي يشهده العالم، فإنه يلزمنا القول أن الرابط الديني الذي يجمعنا هو رابط ديني واحد وهو الإسلام، فهو أقوى رابط يحمي الأسرة المسلمة ويضمن لها العيش والاستقرار، ويحفظ لها الأصول والأنساب ويجعل من الأسرة أسرة طاهرة نقية شريفة النسب، وهذا ما لا نجده في المجتمعات الغربية التي اختلطت فيها الأنساب، وتقطعت فيه أواصر المحبة والألفة، وأصبحت الماديات هي المسيطرة عليه، ولعل من أهم القضايا التي تشعل النار في صدور الغربيين وتجعلهم ينقمون على الأسرة المسلمة ويحاولون تخريبها هو ذلك الإمتداد الذي نجده في الأسرة المسلمة ولا نجده في الأسر الغربية، وأساس ذلك كله هو الزواج الشرعي الذي يكون وفق التشريع الإسلامي.

وأما بالنسبة للقيم الأخلاقية، فهي لا تقل أهمية عن البعد الديني، فالأخلاق التي يدعو إليها الإسلام هي الأخلاق الفاضلة، التي تزرع الأخوة والاحترام والمحبة، بين الفرد وأسرته، وبين الفرد ومجتمعه، هذا من الناحية الإجتماعية، والاخلاص وحب التفاني في العمل الذي يجعل من الفرد عنصرا فعالا في مجتمعه، فيصبح العامل منتجا يقدم مصلحة مجتمعه ووطنه على مصلحته الشخصية، هذا من الناحية الاقتصادية، والشورى والطاعة، وتحمل المسؤولية، التي تنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وتحفظ الحقوق والأمن والأمان من الناحية السياسية، وحب العلم والمعرفة هذا من الناحية الفكرية والعلمية.

وبعد هذا كله أليس حري بنا القول أن المنهج الإسلامي ببعديه العقدي والأخلاقي هو منهج متكامل نظرته شمولية، سياسية، اجتماعية، علمية، فكرية، اقتصادية، ذات أبعاد انسانية صالحة لكل سياق حضاري، لا تناقض بينها وبين مستجدات العصرنة والتطور.

وختاما لما سبق يمكن القول أن أي ثقافة معاصرة، أو مجتمع معاصر يفتقد لمثل هذه القيم لا يمكن له أن يضمن الاستمرار والتعايش في سلم ووفاق، وخاصة في خضم هذه الايديولوجيات المعاصرة، وذلك مهما كانت الأبحاث والمعاهد والنظريات المتخصصة في هذا الشأن، لأنه لا يمكن بناء الفرد والأسرة والمجتمع من غير وضع اعتبار لهذه القيم الروحية المؤثرة.

التوصيات :

1/ ينبغي إعادة النظر في وسائل الإصلاح الأسري وذلك من خلال إبراز دور القيم الدينية والأخلاقية في حماية الأسرة وتعزيز أمنها.

2/ ينبغي الانطلاق من فكرة أنه لا سبيل للحفاظ على الأسرة وحمايتها إلا بالعودة إلى المنهج الإسلامي.

3/ توعية المؤسسات المهتمة بالأسرة ومشاكلها بأهمية القيم الدينية والخلقية، وتبني رؤية شاملة ذات مرجع عقدي ديني تراعي خصوصيات العالمين العربي والإسلامي.

قائمة المصادر والمراجع:

- وحي الرسالة، فصول في الأدب، والنقد، والسياسة، والاجتماع، أحمد حسن الزيات، مطبعة الرسالة، مصر، ط7، مج01.
- نظام الأسرة في الإسلام دراسة مقارنة، باقر شريف القرشي، دار الأضواء، بيروت، ط1، 1988م.
- الأسس الإسلامية لتربية أبناء الأمة، فؤاد محمد موسى، مؤسسة شروق للترجمة والنشر، ط1، 2013م.
- الأسرة في المجتمع الإسلامي، عباس الذهبي، مركز الرسالة.
- التربية الأخلاقية وأثرها في بناء مستقبل الشباب، ابراهيم بن صالح بن عبدالله الحميضي، شبكة الألوكة، قسم الكتب.
- الأخلاق في الإسلام النظرية والتطبيق، إيمان عبد المؤمن سعد الدين، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 2002م.
- الأهداف الأخلاقية للتربية الإقتصادية، كيندة حامد التركاوي، شبكة الألوكة.
- أهداف التربية الإسلامية دراسة مقارنة بين أهداف التربية الإسلامية والأهداف التربوية المعاصرة، ماجد عرسان الكيلاني، مكتبة دار التراث، ط2، 1988م.
- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمان حسن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط5، 1999م. - دور التربية الخلقية في بناء المجتمع والحضارة الانسانية المعاصرة، درايسة تحليلية، أيمن عايد محمد ممدوح، مجلة جامعة المدينة العالمية، العدد 13، 2015م.

الهوامش:

[1] وحي الرسالة، فصول في الأدب، والنقد، والسياسة، والاجتماع، أحمد حسن الزيات، مطبعة الرسالة، مصر، ط7، مج01، ص 04.

[2] نظام الأسرة في الإسلام دراسة مقارنة، باقر شريف القرشي، دار الأضواء، بيروت، ط1، 1988م، ص 20.

[3] الأسس الإسلامية لتربية أبناء الأمة، فؤاد محمد موسى، مؤسسة شروق للترجمة والنشر، ط1، 2013م، ص 07 – 08.

[4] المرجع السابق، فؤاد محمد موسى، ص 11.

[5] المرجع نفسه، ص 12.

[6] الأسرة في المجتمع الإسلامي، عباس الذهبي، مركز الرسالة، ص 09.

[7] المرجع نفسه، ص 81.

[8] ينظر المرجع نفسه، ص82 .

[9] التربية الأخلاقية وأثرها في بناء مستقبل الشباب، ابراهيم بن صالح بن عبدالله الحميضي، شبكة الألوكة، قسم الكتب، ص 07.

[10] الأخلاق في الإسلام النظرية والتطبيق، إيمان عبدالمؤمن سعد الدين، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 2002م، ص 13.

[11] التربية الأخلاقية وأثرها في بناء مستقبل الشباب، ابراهيم بن صالح بن عبد الله الحميضي، ص 29.

[12] ينظر المرجع نفسه، ص 31.

[13] الأهداف الأخلاقية للتربية الإقتصادية، كيندة حامد التركاوي، شبكة الألوكة، ص 01.

[14] أهداف التربية الإسلامية دراسة مقارنة بين أهداف التربية الإسلامية والأهداف التربوية المعاصرة، ماجد عرسان الكيلاني، مكتبة دار التراث، ط2، 1988م، ص 173.

[15] ينظر: المرجع نفسه، ص 177.

[16] الكيلاني، المرجع السابق نفسه، ص 217.

[17] المرجع نفسه ص286.

[18] المرجع نفسه، ص 279

[19] الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمان حسن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط5، 1999م، ص 23.

[20] المرجع نفسه، ج1، ص 33.

[21] المرجع السابق نفسه، ج1، ص 24.

[22] المرجع نفسه، ج1، ص 38.

[23] نظام الأسرة في الإسلام دراسة مقارنة، باقر شريف القرشي، دار الأضواء، بيروت، ط1، 1988م، ص 13.

[24] دور التربية الخلقية في بناء المجتمع والحضارة الانسانية المعاصرة، درايسة تحليلية، أيمن عايد محمد ممدوح، مجلة جامعة المدينة العالمية، العدد 13، 2015م، ص 553.